أخي المريض

شفاك الله وعافاك

من المحن تأتي المنح

إعداد

أبو عمار

ياسر العدل

الحمد لله تعالى أنعم على الدوام، ورزق كثيرًا على التمام، والصلاة والسلام على النبي محمد والسلام، وعلى الآل والأصحاب أقمار الظلام.

وبعد،،

لا تزال النفوس تهفو إلى حياة خالية من الأمراض...

صافية من شوائب الأسقام!!

تلك هي أمنية المخلوق الضعيف.. الجاهل الذي وقف عقله عند علمه.. لا يدري ما وراء الأقدار من الحِكَم والأسرار!!

ولا يعلم أن الابتلاء سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، اقتضتها حكمة الله- سبحانه - للابتلاء والامتحان.

أخي المريض - شفاك الله وعافاك

لا تنظر إلى الابتلاء على أنه نقمة، ولا تظن أن المرض شر، فالله لا يخلق شرًا محضًا، بل أودع الله فيما يظنه العبد شرًا، خيرًا كثيرًا، والمؤمن العارف بربه يستطيع أن يغير النقم إلى نعم، ويستبدل المحن إلى منح!!

لذا كان الصالحون يفرحون بالمرض والبلاء كما يفرح الواحد منا بالرخاء، فقد ذكر النبي ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: «**وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**» صححه الألباني.

قال وهب بن منبه رحمه الله: «إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاءً عدّه رخاء، وإذا أصابه رخاء عدّه بلاء».

وقال بعض السلف: «يا ابن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تُحب».

وقال بعضهم: «ارض عن الله في جميع مايفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه».

وللأمراض والأسقام - خاصة - فوائد وحِكَم، أشار ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنه أحصاها فزادت على مائة فائدة»[1].

وهذا جزء يسير من فوائد المرض وحكمه وثمراته إليك بيانها:

١ - التضرع والدعاء:

فالله يحب من عبده الضعيف أن يرفع يديه بالدعاء ويمد أكُّف الضراعة لديه ولا يشكو إلا له - سبحانه - وهذا حال سادات الخلق وهم الأنبياء المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد

(١) «شفاء العليل مستفاد من تحفة المريض» لعبد الله بن على.

أثنى الله تعالى عليهم حيث شكوا مابهم إلى الله - تعالى - قال نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

وقال تعالى عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وقال عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقد ذم الله تعالى من لم يتضرع إليه ولم يستكن له وقت البلاء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون:٧١).

فمن فوائد المرض أنه يذكّر الإنسان ذكر ربه ويعلّمه دوام التضرع وإظهار الضعف والحاجة له الأمر الذي لا ينسهِ شكره - سبحانه - حال العافية والصحة.

٢- استخراج عبودية الضراء (وهي الصبر):

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أخبرنا - سبحانه - أنه يبتلي عباده، ليختبرهم ويمتحنهم، فيستخرج منهم عبودية الضراء وهي الصبر.

قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» رواه مسلم.

قال عبد الملك بن أبجر رحمه الله: «ما من الناس إلا مبتلى بعافية، لينظر كيف شكره أو بلية، لينظر كيف صبره».

قال بعض السلف: «لولا حوادث الأيام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام».

٣- تكفير الذنوب والخطايا:

قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى، ولا غم،**

حتى الشوكة يشاكها، إلا كَفَّر الله بها من خطاياه» رواه البخاري.

وما أكثر الخطايا والذنوب التي يقع فيها العبد، فالله يبتليه ليمحو خطاياه.

قال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس».

قال ﷺ: **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»** صححه الألباني

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يصيبه أذى أو مرض فما سواه إلا حطّ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»** متفق عليه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسدّدوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفاره، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها**» رواه مسلم.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: قوله: «قاربوا» أي اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا، بل توسطوا، و«سددوا» أي اقصدوا السداد، وهو الصواب و«النكبة»، هي مثل العثرة يعثرها برجله، وربما جرحت أصبعه وأصل النكب: الكبّ والقلب!!

٤- كتابة الحسنات ورفع الدرجات:

فإذا صبر العبد على المرض فإنه يثاب بكتابة الحسنات ورفع الدرجات وحصول الأجور العظيمة.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجه، ومحيت عنه بها خطيئة**» رواه مسلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى» (١٠/ ١٢٤): «المصائب التي تجرى بلا اختيار العبد كالمرض وموت عزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس مايحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفر بها خطاياه فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها».

- والصبر على المرض سبب لتبوء العبد منزلة عظيمة ما كان ليصل إليها إلا بالصبر على المرض

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**» رواه ابن حبان وصححه الألباني.

٥- الفوز بالجنة:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**حُفَت الجنة بالمكاره وحُفَت النار بالشهوات**» متفق عليه.

والمكاره: «كل ما تكرهه النفس وتشق عليها، وهذا يتناول مجاهدة النفس في القيام بالطاعات واجتناب المعاصي، والصبر على المصائب والتسليم لأمر الله فيها»(١).

فلن تنال الجنة ولن تنجو من النار إلا بالصبر على المكاره ويدخل منها المرض والسقم.

ولهذا قال ﷺ في حق من أصيب بفقد بصره: «يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ».

رواه البخاري

وفي حديث المرأة التي كانت تُصرع، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي قال: «**إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» فقالت:

---

(١) فتح الباري(١١/ ٣٢٠)

أصبر فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف. فدعا لها. متفق عليه.

٦- النجاة من النار:

فالعبد إذا صبر على ما ابتلاه الله به من المرض واحتسب ذلك الأجر عنده، ورضي بقضاء الله وقدره كان ذلك سببًا في النجاة من النار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك كان به، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أبشر، فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يقول: «هي ناري أُسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظّه من النار في الآخرة**» صححه الألباني.

والوعك: هو الحمى، وقيل: ألم الحمى.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الحمى حظ كل مؤمن من النار**» رواه البزار وصححه الألباني بشواهده.

٧- إيقاظ العبد من غفلته:

العبد ينسى كثيرًا نعم الله عليه، ففي زحمة الحياة والانهماك في الأشغال يفرّط الإنسان كثيرًا، إما بالتهاون بفعل المعاصي، أو التفريط في طاعة الله في اليوم والليلة، فإذا ما ابتلاه الله بمرض أو غير ذلك استشعر الإنسان ضعفه وفقره وحاجته إلى ربه، وتذكر رحمة الله به بإمهاله عن العقوبة جزاء تقصيره وتفريطه في جنبه فيستيقظ من غفلته، ويعود نادمًا تائبًا متضرعًا إلى ربه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

وقال أيضا: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

المعنى بلوناهم بالنعم والمصائب ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليه ويتوبوا من معاصيه.

قال سفيان بن عينية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يكره العبد خير له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه»(١).

وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينزل البلاء ليستخرج به الدعاء»(٢).

٧.تذكر حال أهل البلاء:

والإنسان لا يعرف قيمة النعمة التي أنعم الله عليه فيها إلا إذا شاهد أهل البلاء فكم أقامك الله وأقعد غيرك، وكم أصحك وأمرض غيرك، وكم عافاك وابتلى غيرك، فإذا تعرض العبد للمرض عرف قيمة النعمة التي امتن الله بها عليه فأدى ذلك إلى شكره - سبحانه وتعالى - وتذكر حال أهل البلاء والمرض فتعهدهم بالزيارة وقضاء حوائجهم والتخفيف من مصائبهم والدعاء لهم بالعافية.

---

(١)، (٢) «الفرج بعد الشدة» الشكر لابن أبى الدنيا.

٩.صحة وطهارة القلوب والأرواح:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها»(١).

وقال في موضع آخر: «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعُجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلًا وآجلًا، فمن رحمة الله أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

---

(١)« شفاء العليل».

فلولا أنه - سبحانه - يداوى عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا، وبغوا، وعتوا والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذّبه ونقّاه وصفّاه - أهَّلَه - لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه [١].

وأخيرًا أخي المريض ارض بقضاء الله في جميع أحوالك واعلم أن الله يبتليك بالمرض ليعافيك، ويجزل لك الثواب واجتهد أن تستفيد من حوادث الأيام.

تجرى الأمور على حكم القضاء

وفي طي الحوادث محبوب ومكروه

وربما سرني ما كنت أحذره

وربما ساءني ما بت أرجوه

---

(١)«زاد المعاد» نقلًا من «تحفة المريض».